معركة بين دينين

دِين اليَهُود وَدِين النصَارَى

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة الآية ٣٠)

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة الآية ٣١)

* * *

وبنو إسرائيل ؛ بمبدئهم الرَّجْراج ، وأخلاقهم المتمايعة يخافون ، ولا يستحون

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ (الروم الآية ٣٣)

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾

(النحل الآية ٥٤)

وهذا شأنهم مع موسى ، ومع هرون ، ومع زكريا ويحيى .

وهكذا كان شأنهم مع الأنبياء الذين أرسلوا فيهم : أرميا وشعيا ومن بعدهم . كانوا يكفرون

بهم ، ويهزءون برسالاتهم ، ولا يُلْقون بالاً إلى تحذيرهم وإنذارهم ، ولا يخافون أن يأخذهم الله بكفرهم .

* * *

ويُسَلِّط الله عليهم مُلوكَ بابل ، وسنْحاريب ، وبُختنصر ، فَيَدْهَمونَهم ، ويوقعون بهم العذاب ، والخراب والدمار ، فيخربون عليهم ديارهم ، ويدكون معابدهم ، ويدمرون بيت المقدس ، معبدَهم ومبْكاهم .

* * *

فإذا ما ظهرت النَّصرانية ، وفيها تصديق لكتابهم ، وتِبْيَانٌ لما خَفِيَ عليهم وهُدًى ونورٌ ، وحكمةٌ وموعظة ، وتحليل لما حُرِّم عليهم ، نراهم يصدون عنها ، ويستكبرون ويقاومون المسيحية بكل ما يستطيعون ، ويشنُّون عليها حربًا طاحنة مُبِيدة .

* * *

فذى نُواسٍ ، ملك اليمن ، يكاد يصعق حين يسمع خبر نصارى نَجْران ، ويتوهم أن الدنيا لا تتسع لدينه ودينهم ، ولا لحياته وحياتهم ، فيهبُّ عليهم كعواصف الموت ، ولا يكفيه أن يقتل أو يشنق ، وإنما هو التعذيب والتمثيل ، وما هو إلا أن يحفر الأخدود فى الأرض ، ويُسعِّر فيها النار ، ليشوى هؤلاء النصارى ، ويصهر أجسادهم ، بما تجرءوا على دينه دين اليهودية ، وبما صبئوا واعتنقوا المنصرانية .

وما كان يطفئ غُلَّته ، ويُبْرِدُ ثورته ، إلا أن يجمع جموعه وأعوانه ، ليطلُّوا على هؤلاء المساكين المسيحيين ، وهم فى الأخدون يحترقون .

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(البروج الآيات ٤-٩)

وشاءت إرادة الله ، أن يقتص لهؤلاء النصارى من ذى نواس فمكن لبعض هؤلاء النصارى ، أن يفرُّوا إلى النجاشىّ ملك الأحباش والنجاشى إذ ذاك ظهيرٌ للنصرانية .

فهبَّ لنجدتهم ، وانتقم لهم وأخذ بثأرهم وأخذ يكيل الضربات لذى نُواس ، حتى طواه تحت قدميه ، وأدخل اليمن بين يديه .

* * *

وفى طَيَّةٍ من طَيَّات الزمن ، تستعرُ الحرب بين الأديان .

لا . بل بين محترفى الأديان .

فما كان بين الأديان يومًا خلاف ، والدين لله ، ومادامت الأديان لله ، وفى الله ، فلا يكون بينها خلاف .

* * *

وإنما جاءت يُصدِّق جديدها ما بين يديه من قديمها ، ويزيد عليه ، ويفصل فيه ، ويوسع فى تشريعه ، ويتمُّ ما نقص ، وما يقتضيه تزايد العمران .

وعيسى مصدقٌ لموسى ، ومحمدٌ مصدقٌ لهما .

والإنجيل يكملُ التوراة ، والقرآن متممٌ للإنجيل والتوراة .

فتنازع البقاء لم يكن بين الأديان ، وإنما كان بين المتَّجرين بالأديان .

* * *